واذكر لهم سير السلف فتوب بما به وحولهم ويصلح خلق كثير ثم انفق قطع مجالس
الوعاظ كلهم وانفردت بالعلم والتصانيف انفرادا لم اقدر عليه قبل ذلك لمكان
المخالطة فكان الناس يدعون الله تعالى ويسالونه عود مجالس الوعظ ويقولون
فقدنا قوتنا وكم من مذنب قد رجع وكم من عاص قد صلح وكنت انا معهم على ذلك
الى ان كشف لي غور العلم وتحقق التيقن ان جمهور ما كنا فيه خطا وسبب الخطا تقليد
الاشياخ والجري مع العادات وذلك انا رأينا الناس يستعملون في الوعظ طرائق
فسلكنا اصلحها ثم قسناها باحوال القدماء من السلف فرايناها غلطا وذلك
ان مما كان يجري قراءة القراء وخصوصا البسملة التي يوقعون بها توقيع الاغاني
وكان غيرنا اذا انشد الاشعار التي تصلح للوعظ انشدنا ما يليق بالوعظ وما قاله
اهل المعاملة والمعرفة الا انه كان يتفق هذا الانشاد مع ذلك التلحين فيوجب
طرب الناس فربما من قوانينا بهم وصعقوا ولطموا وخرجوا على وجوههم وكان ذ
ذلك يوثر في نفسي ايضا ولعمري انا ما كنا نعد اذكر السلف والصالحين مما
يوجب القلق غير ان طريقة السلف الصالح لا ترتضي هذه الحال واخراج
الطباع عن الاعتدال لا يصلح بحال ومما بان لي غلطه انا كنا نذكر عن جماعة
من الصالحين اشياء بان لنا انهم غلطوا في فعلها وكان ذكرها للعوام لا يصلح
مثل ان نقول كان فلان بقي ستين سنة لا يضطجع وكان ابو يزيد حلف على
نفسه ان لا يشرب الماء سنة وهذه الاشياء وامثالها غلط من فاعلها

وذكرها

وذكرها يفسد السامع ولا يصلح على قانون الشرع الى غير ذلك من الاحوال التي
انكشفت لي بما اوضحه الفقه والفهم وادراك غور الشرع انه كله خطا وان
انقطاعه كان مصلحة وما كنت بالذي يمكنني تركه بغتة لكن القدر درجني بالقطع
عنه ثم بالفكر فيه ثم بمعرفة اصول الشرع التي تنهى عنه ولو احد دني على ذلك الاول كنت
ملابسا للمكروه الشرعي على ان مجلسي كان اصلح المجالس فما كان يمكن فقيها من الفقهاء
ولا محدثا ولا احد ان يطعن في شي منه لوضع اجتهادي في اتباع الشرع غير اني ميزت
ما ذكرت على نفسي بعين التحقيق فرايت انه على غير الطريق فلله الحمد حيث رقاني
من مقام الى مقام هو اعلى منه وكشف لي غوار ما بعده منفعة وفضلا فانا اتمثل

لا زلت انزل من ودادك منزلا ... تتقاصر الالباب دون نزوله

وكان عز وجل قد رزقني الازواج والاولاد ولم يحوجني الى ذل الخلق ولا تعب
كسب بل كان يلطف بي من حيث لا احتسب ويخير لي في اموري ويلهمني
طلب العلوم الانفع والاصلح وما يبين لي الخيرة في عاقبته وجعل قوتي بقدر ما
لا يشغلني ولا يعوزني وكان النفس تطلب فضل نكاح او شرى جارية
فيمنعني من ذلك لضيق اليد ثم يبين لي في العواقب ان ذلك خيرة لترقيه
القوة على العلم والعمل ثم فتح لي ابواب التصانيف فجمعت من كتب الزهد
والادب ما لم تنتهه همة غيري وجمع لي من ادب في نفسي وصبر في باطني مراعاة
ومداراة للخلق وصونه لسمت يمكروه وحبب الي الخلوة وفتح لي باب معرفة

Copyright © King Saud University